

خطبة الجمعة - الخطبة ٣٣١ : التكافل الاجتماعي ( الإنفاق على الأقارب ) .

لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩١-١-١٨

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده ، ونستعين به ونسترشد ، وننحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضل فلن تجد له وليناً مرشدًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن وآله ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

### الإنفاق على الأقارب :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ وعدتكم في الخطبة السابقة أن أتابع الحديث في موضوع التكافل الاجتماعي الذي هو جزء من نظام الإسلام .

انطلاقاً من أن المجتمع المسلم وحدة متكاملة ، وأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه ..

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ بينت لكم في الخطبة السابقة كيف أن الإنسان مُلزم بالإنفاق على قريبه من ذوي الحاجة ، ولكن السؤال اليوم : ما نوع هذا الإنفاق ؟ وما حجم هذا الإنفاق ؟ وأية حاجة يمكن أن تلبى ؟

أيها الأخوة الأكارم ؛ أجمع العلماء على أن الإنفاق على الأقارب يجب أن يلبي الحاجات الأساسية ، أن تلقي في كف قريبك بعض وريقات ، أو بعض عشرات ، لا تجعل معه شيئاً ، ليس هذا هو إيتاء ذوي القربي ، الذي أمر الله به الموسر أن يكفي أقرباءه ، فما معنى يكفي أقرباءه ؟ يا أخوة الإيمان ، الحاجات الأساسية هي المطعم ، والمشرب ، والمسكن ، والعلاج ، والنکاح حسراً ، مما يجب على الموسرين أن يطعموا أقرباءهم المساكين ، والفقراء ، وأن يكسوهم ، وأن يسكنوهم ، وأن يزوجوهم ، وأن يعالجوهم ، فقد تتطلع بعض أجهزة الإنسان ويحتاج للعلاج ، إلى مالٍ كثير ، لابد من الأقرباء الموسرين أن يبادروا إلى معالجة قريبهم ، هذا من صلب الدين ، ومن أساسيات النظام الإسلامي .

الطعام ، والشراب ، والملبس ، والمسكن ، والعلاج ، والزواج ، هذه هي الحاجات الأساسية التي ينبغي أن تلبى . السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تقول : " ما رأيت أزهد من عمر كان إذا أطعم أشعب ، وإذا قال أسمع ، وإذا سار أسرع ، وإذا ضرب أوجع " هناك تقسيمات لابد من ذكرها أيها الأخوة الأكارم .

الابن الغني يجب أن يعفّ والده بتزويجه إذا كان معسراً ، إذا توفيت زوجة الأب ، وكان الأب معسراً فعلى الابن الغني الموسر أن يعفّ أباه بتزويجه ، وعليه أن يزوجه ، وأن ينفق عليه ، وعلى زوجته . والمؤمن الموسر عليه أن يعف ابنه بتزويجه ، والإنفاق عليه .

### إجبار المسلم المتوازي في الإنفاق على أقربائه أن ينفق عليهم :

أيها الأخوة الأكارم ؛ شيءٌ في الإنفاق دقيقٌ جداً يشبه الزكاة . ماذا قال الله عز وجل في موضوع الزكاة ؟ خاطب النبي عليه الصلاة والسلام فقال :

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُظْهِرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾

[سورة التوبة : ١٠٣]

لم يأمر المؤمنين أن يدفعوا زكاة أموالهم ، إنهم إن أمروا قد يدفعون وقد لا يدفعون ، ولكن في دفع زكاة المال صلحاً للمجتمع ، إذا الأمر لم يتوجه إلى المؤمنين بدفع زكاة أموالهم ، بل وجه إلى النبي عليه وسلم لا على أنه نبي بل على أنه إمام الأمة ، وعلى أنه ولی الأمة :

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُظْهِرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾

[سورة التوبة : ١٠٣]

وهذا الحكم في إجبار الغني على دفع زكاة ماله عن طريق أولي الأمر ينسحب هذا الحكم نفسه على الأقارب في موضوع الإنفاق على ذوي القربي ، فعلى الإمام ، وعلى ولی الأمر أن يُجبر المسلم المتوازي في الإنفاق على أقربائه ، أن ينفق على أقربائه .

وقد فعل هذا سيدنا عمر رضي الله عنه إذ أجبر أحد المسلمين في عهده بالإنفاق على ذوي القربي من أقاربه .

قد نواجه مشكلةً أن هذه الأم ، أو أن هذا الأب لا يملك قوت يومه ، ولوه ابن قوي البنية ، بإمكانه أن يكسب المال ، ولكن لا مال له ، ماذا يفعل الإمام وماذا يفعل ولی المسلمين؟ هنا الإجبار لا على الإنفاق ، لأن هذا الذي عليه الإنفاق لا مال له ، هنا الإجبار على هذا الشاب القوي القادر على الكسب ، نجراه على أن يكسب المال ، لينفق على أمه ، وأبيه ، فولي المسلمين ، وإمام المسلمين إما أن يُجبر على الإنفاق ، وإما أن يجبر على الكسب ، وإذا توأنى في الإنفاق على ذوي القربي ينسحب عليه حكم من عليه دين ، لأن الإنفاق في حكم الدين ، تبع بعض حاجاته ، لينفق على من يلزمته الإنفاق عليهم .

## الأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذي القربى :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ هل في هذا الدين ثغرة ؟ هل في الأنظمة الوضعية نظام يجبر أتباعه على التكافل فيما بينهم كهذا النظام ؟ يجبر على الإنفاق كما يجبر على إتفاق الزكاة ، ولن نذكر المؤمنين ، ولن نذكر المسلمين يجبر المسلم على الإنفاق كما يجبره على أخذ الزكاة ، ويُجبره على الكسب إذا كان قادراً على الكسب ، ولا مال له ، وإن لم يفعل يتحقق لولاي المسلمين أن يبيع بعض حاجاته الأساسية لينفق على أقربائه ، هذا حكم الشرع .

**فِيَا أَيُّهَا الْأَخْوَةِ الْمُؤْمِنَاتُ ؛** حِينَما قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[٩٠ : سورة النحل]

أليس إيتاء ذوي القربى إحساناً؟ ما معنى أن يُعطَ الشيء على مثاله ، أو أن يعطَ الخاص على العام ؟ أليس إيتاء القربى إحساناً؟ ألم يقل الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

[٩٠ سورة النحل:]

قال علماء الأصول : إن عطف الخاص على العام من أجل إبراز أهميته .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

[٩٠] سورة النحل:

ومن أبرز ما في الإحسان

وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى

هذا أمر الله عز وجل .

**الاتفاق على ذوي القربي ليس دعوة إلى التكاسل :**

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ قد يسأل سائل : أليس في إجبار الناس على الإنفاق على أقربائهم دعوة إلى البطلة ؟ هذا الإنسان ، ما دام فلان أو علان مجرأً بالإنفاق عليه ، أليس في هذا دعوة إلى البطلة ؟

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ الإنسان الغني الذي يملك قوت يومه لا يجوز أن ينفق عليه ، والإنسان الفقير الذي لا مال له ، وهو قادرٌ على الكسب لا ينفق عليه ، لأنك إذا أعطيت شاباً قادراً على الكسب فقد دعوته إلى التكاسل ، إذاً ليس في هذا الإنفاق على ذوي القربي دعوة إلى البطالة ، لأن الإنسان لا يواسى بالمال إلا في حالة كونه فقيراً لا مال له ، أو في حالة كونه مسكوناً لا يستطيع أن يكسب المال .

## المسلم أخو المسلم :

يا أيها الأخوة المؤمنون: كلما عرفنا أحكام الشرع في التكافل الاجتماعي أصبح هذا المجتمع كما صوره النبي عليه الصلاة والسلام مجتمعاً متماسكاً متكائفاً :  
((المسلم أخو المسلم))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

له حق عليه .

و عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
((مثُلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاوُفُهُمْ مِثْلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضُوٌّ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمْرِ))

[مسلم عن النعمان بن بشير]

هكذا وجه النبي علي الصلاة والسلام .

فيما أيها الأخوة المؤمنون ؛ إذا تقدتم أقرباءكم ، وأنفقتم عليهم النفقة الأساسية التي تغنيهم عن سؤال الناس ، فقد حققت أمر الله عز وجل وأمر النبي عليه الصلاة والسلام ، ولهذا الموضوع تتمة نشرحها في خطبة قادمة إن شاء الله تعالى .

## معية الله معيتان ؛ عامة و خاصة :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ لو أن إنساناً طمح أن يكون الله معه ، ينصره ، يوقفه، يتولى أمره ، ما ثمن هذه المعية ؟ كلهم يعلم أن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز :  
﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

[سورة الحديد : ٤]

هو مع كل مخلوق على وجه الأرض ، قال علماء التفسير : هذه المعية هي معية عامة ، ولكن حينما يقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَقِينَ﴾

[سورة البقرة : ١٩٤]

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة البقرة : ١٥٣]

هذه معية خاصة ، ما معنى هذه المعية الخاصة ؟ معناها أن الله جل في علاه مع هذا الإنسان مؤيداً ، وحافظاً ، وموقاً ، وناصراً ، هذه المعية الخاصة التي نظم لها .

ولكن من السذاجة وضيق الأفق والجهل أن نظن هذه المعية بلا ثمن ، أن نكتب هذه المعية بلا ثمن ، ماذا يقول الله عز وجل ؟ في سورة المائدة في الآية الثانية عشرة يقول الله عز وجل:

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾

[سورة المائدة : ١٢]

إني معكم ناصراً، ومؤيداً، وموافقاً، وحافظاً .

**معية الله من لوازمه الاستقامة على أمره :**

ولكن هيئات أَن نظن أَن هذه المعية بلا ثمن ، إن ثمنها كبير :  
﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقْمَنْتُ الصَّلَاةَ﴾

[ سورة المائدة : ١٢ ]

الانتهاء عما عنه نهى الله : ومن لوازم إقامة الصلاة الاستقامة على أمر الله ، الوقف عند حدود الله ، الائتمار بأمر الله ،

لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ

[ سورة المائدة : ١٢ ]

ولن يقيم الصلاة إذا كان الله عاصياً ، إن كل معصيةٍ أيها الأخوة تقف بين العبد وبين ربه حجاباً كثيناً :

**وَقَالَ اللَّهُ أَنِي مَعْكُمْ لَئِنْ أَقْمَتُمُ الصَّلَاةَ**

[ سورة المائدة : ١٢ ]

إذا تعرفتم إلى أمري ، وطبقتم أمري ، وانتهيتم عن المعاصي ، وتقررتكم إليّ ،  
وكنتم كما أريد عندئذٍ أكن لكم كما تريدون :

**﴿وَقَالَ اللَّهُ أَنِي مَعْكُمْ لَئِنْ أَقْمَتُ الصَّلَاةَ وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾**

[ سورة المائدة : ١٢ ]

كنت محسنين ، ذكر الزكاة ، وأراد مطلق الإحسان ، اتصلتم بي ، وأحسنتم إلى خلقي ، وهذا هو الدين .

﴿وَأُوصَنَّىٰ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتَ حَيًّا﴾

[سورة مریم : ۳۱]

﴿وَقَالَ اللَّهُ أَنِّي مَعْكُمْ لَئِنْ أَقْمَتُ الصَّلَاةَ وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَمْتَنْتُ بِرُسُلِيٍّ وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾

[ سورة المائدة : ١٢ ]

نصرتم دين الله ، أقمتم حدوده ، أزلتمن المنكرات ، أحبيتم الطاعات ، أعنتم على إقامة الصلوات ،  
عظمتم أمر الله ، عظمتم شعائر الله ، عظمتم من يدعوه إلى الله .  
وقال الله :

اللَّهُ أَنِّي مَعْكُمْ لَئِنْ أَقْتَمْتُ الصَّلَاةَ وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَمْتَنْتُمْ بِرِّسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَفْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً

[ سورة المائدة : ١٢ ]

فعلمتم الخيرات ، إذا آمنتم ، وترعرفتم إلى أمر الله ، وطبقتم أمر الله ، وأقمتم الصلاة كما أمر الله عز وجل ، وآتنيتم الزكاة ، وآمنتم برسلي وعزرتموهم ، وأقرضتم الله قرضاً حسناً ، عندئذٍ أنا معكم ، معكم بال توفيق ، معكم بالحفظ ، معكم بالتأييد ، معكم بالنصر ، هذا أمر الله .

وقد يقول قائل : هذه الآية وردت في خطاب أهل الكتاب ، اسمعوا الجواب : العبرة في القرآن الكريم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، أما أن يدعى الإنسان أنه يحب الله .

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلَمْ يُعذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّنْ﴾

## خلق

[سورة المائدة : ١٨]

### التوكيل على الله مع الأخذ بالأسباب ليكون الله معنا :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ هذا موضوع ، موضوع آخر له أهمية كبرى ، ما من إنسانٍ على وجه الأرض يستحق أن يحفظه الله ، وأن يؤيده الله ، وأن ينصره الله كرسول الله ، ومع ذلك حينما أمر بالهجرة ، أخذ بكل الأسباب ، الأخذ بالأسباب عبودية الله عز وجل ، لكنه اعتمد على الله عز وجل . هناك شرطان أساسيان حتى يكون الله معك :

• الشرط الأول : أن تؤمن به ، وأن تستقيم على أمره ، وأن تتصل به ، وأن تحسن إلى خلقه ، وأن تؤمن برسله ، وأن تعظم شعائره .

• الشرط الثاني : يتشعب إلى شعبتين .

الأول : أن تأخذ بالأسباب ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أخذ بكل الأسباب ، ثم توكل على رب الأرباب . مما يأخذ علينا أعداؤنا توأكلنا ، ما التواكل ؟ هو ألا تأخذ بالأسباب وتنتوكل على رب الأرباب ، هذا توأكل .

الثاني : ألا نعتمد عليها ، إذا اعتمدنا عليها لا نستحق أن يكون الله معنا ، لذلك أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم في حنين ، وقد كانوا كثرة كثيرة ، وقوة عظيمة ، فتحوا مكة آخر معقلٍ من معاقل الكفر ، ودانت لهم الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها ، إلا أنهم قالوا في أنفسهم : لن نغلب اليوم من قلة ، أخذوا بالأسباب ، واعتمدوا عليها .

﴿لَقَدْ نَصَرْكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذَا عَجَّبْتُمْ كَثُرْتُمْ فَلَمْ تُفْعَلْ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾

[سورة التوبه : ٢٥]

﴿وَلَقَدْ نَصَرْكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذْلَلُهُ﴾

[سورة آل عمران : ١٢٣]

وأنتم مفتقرون إلى الله عز وجل . إذاً حينما تعتمد على الأسباب لا تستحق معية الله ، وحينما تعتمد على الله ، ولا تأخذ بالأسباب لا تستحق معية الله .

هذه حقائق في القرآن أضعها بين أيديكم ، حينما تعتمد على الله ، ولا تأخذ بالأسباب إنك خالفت منهجه ، خالفت سنة نبيك ، خالفت النظام العام الذي جاء به النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، وإذا أخذت بالأسباب ، واعتمدت عليها ، فقد أشركت .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ هذه الحقائق نحن في أمس الحاجة إليها .  
أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ،  
واعلموا أن ملك الموت قد تخططنا لغيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، الكيس من دان نفسه، وعمل  
لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتنمى على الله الأماني ..

والحمد لله رب العالمين